

البحري الغواص رئيس القوم ومعاني الويل وكاسب الجمانة هو الشاعر. ومن هنا فنحن أمام دلالة مكتملة الحلقات. وتخيليتها واحتفاليته أفضت إلى نتيجة حاسمة في البيت الأخير، حيث صارت المالكية بطلعتها المبهجة، وتمّ بذلك حصر الدلالة وتقيدها بين طرفين واضحين هما الشاعر والمالكية، في مقابل الغواص والجمانة. وبذلك نكون قد خرجنا بقراءة جميلة عن صورة احتفالية وتخيلية عن الغواص واللؤلؤة. وتقف جمالية النص عند ربطه بالمالكية ربطاً كاملاً مما يفضي بالنص إلى الإكتمال والتشبع الدلالي. وهذا الإكتمال والتشبع أفضى بالنص إلى مفارقة إبداعية حيث صارت هذه الأبيات الأربعة عشر جملة شعرية طويلة وجميلة ومفيدة، وذات تركيب عضوي متماسك، بركنيها الأساسيين، المشبه به الطويل والمشبه القصير، إلا أنها - مع كل هذا الجمال - صارت نصاً مغلقاً. وهو نص مغلق بسبب من شدة اكتماله وشدة تشبعه. وكما أن الغواص قد (أصاب منيته)، وصار يضمها حسياً إلى نحره ويتمنع عن بيعها إلى الآخرين، فإن النص أيضاً قد صار ملكاً خاصاً وشديد الخصوصية لصاحبه. وصارت القصيدة هي (المالكية) صاحبة المسيب، ولم تعد القصيدة جمانة في البحر. وحينئذ لن يكون القارئ غواصاً يغوص وراء الجمانة إذ قد أصاب الشاعر (منيته) وامتلك المالكية التي كانت جمانة بحرية مشاعة.

ولقد كانت القصيدة تعطي في البدء مجالاً لإطلاق دلالة الجمانة وإشاعتها، حيث من الممكن لها أن تسبح في البحر لتغري الغواصين بالسعي وراءها، وستكون القراءة حينئذ ضرباً من